مصرف الفقراء والمساكين (٣)

س: في الحلقة السابقة تحدثنا عن تقديم الزكاة بواسطة الجمعيات أو الهيئات والمؤسسات الأهلية، وبينا أن الهدف هو نقل الشخص من الاحتياج إلى الغنى، فما هو معيار الغنى الذي تحققه الزكاة لمن يحصل عليها؟

جـ: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،

فإن الزكاة - كما قلنا - شرعت لإغناء الناس، وفى عرف الناس فإن الحد الأدنى من الغنى أن يستطيع الشخص أن ينفق على إشباع حاجاته وحاجات من يعول، ويطلق على هذا المستوى من الإشباع في الفقه الإسلامي «حد الكفاية» وهو لا يقدر بقدر معين من الثروة يملكه الشخص، وإنما هو تيار متجدد من الدخل ينفقه الشخص على حاجاته المتجددة بصرف النظر عن ثروته في حد ذاتها، فقد يملك الشخص ثروة طائلة لكنها لا تدر دخلاً ذا بال، مثل العمارات الضخمة المؤجرة بقروش أو جنيهات، فصاحبها محتاج يعطى كفايته من الزكاة، وقد لا يملك الشخص ثروة ما، لكنه يمارس عملاً يدر له دخلاً متجدداً، فهو غنى بهذا الدخل، وإن لم تكن له ثروة، فالمعيار هو الدخل المتجدد القابل للإنفاق.

س: هل لدينا تحديد موضوعي لحد الكفاية هذا، أم أن كل شخص يقرر بنفسه إن كان ما لديه يكفيه أم لا؟

جـ: لقد سئل الإمام أبو حامد الغزالي هذا السؤال، وأجاب عنه بأن التقدير الصحيح لهذا الحد يضعه الخبراء المحايدون، وليس الأشخاص المحتاجون بأنفسهم،

يقول الغزالي رحمه الله تعالى: وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع، وإنما تقدير ذلك إلى الاجتهاد، وليس له حد. والاجتهاد في الإسلام عمل المتخصصين في كل فن وكل مجال، وهم الذين يقومون بتحديد الكفاية للشخص آخذين في الاعتبار الظروف المجتمعية، من متوسط دخل الفرد في المجتمع ومستوى الأسعار في كل منطقة، وعلى ضوء ذلك يمكن تقدير حد الكفاية في كل منطقة، ويراعى فيه أن يوفر للشخص عشرة بنود هي:

١- المطعم ٢- الملبس ٣- المسكن ٤- العلاج
٥- أداة الإنتاج ٦- وسيلة الانتقال ٧- التعليم
٨- قضاء الديون ٩- الزواج ١٠- السياحة

س: على أي أساس تم اختيار هذه البنود لتمثل حد الكفاية؟

ج: الأساس الذي تقوم عليه هذه البنود أنها تجعل الحياة طيبة هانئة، والله تعالى وعد المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة، وهى تمثل الحاجات التي لا غنى للإنسان عنها، وهي ممتدة معه منذ القرون الأولى حتى العصور الحاضرة وفي المستقبل، فطبيعة الإنسان لا تستغني عن أي من هذه البنود، وهى تختلف فقط في الدرجة من عصر لعصر، ومن مستوى اجتماعي لمستوى آخر، فليست الملابس في أيامنا هي الملابس في العصور السابقة، وليست تجهيزات المساكن في السابق كتجهيزات المساكن في أيامنا، وكذلك التعليم ونفقاته، والعلاج ومستوياته، والزواج واحتياجاته كلها تختلف في الدرجة من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، لكنها

تبقى حاجات أساسية لا تقوم الحياة الطبيعية بدونها، ومن حصلها كلها فهو غنى، ومن عجز عن توفير بعضها فهو محتاج بمقدار هذا العجز.

س: لقد أوردت من بنود «حد الكفاية» الزواج والسياحة، وربما يرى البعض أن هذا تدليل للمحتاج، وشيء فوق ما يجب على الزكاة توفيره للفرد. ما رأيك؟

جـ: ليس هناك تدليل ولا مبالغة أو استكثار، إن الزكاة تعطى الفرد اليوم لتأخذ منه غداً، إننا بالزكاة نخلق وحدات إنتاجية تضيف إلى الدخل القومي، وتضيف إلى موارد الزكاة في العام القادم عندما يتحول الشخص من محتاج إلى غنى تجب عليه الزكاة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن التطبيق الإسلامي قد سار على أن الزواج من الحاجات الأساسية للإنسان، ولابد من الإعانة عليه، وتمكين كل راغب في الزواج من أن يتزوج، ولقد كانت الدولة الإسلامية في صدر الإسلام تعين على الزواج بدفع نفقاته، فعل ذلك سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال خامس الخلفاء الراشدين لعماله: انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن يتزوج فزوجه، وأصدق عنه، أي ادفع الصداق أو المهر للزوجة نيابة عنه، أما السياحة فإن الإعانة عليها منصوص عليها في صلب الدستور الإسلامي «القرآن الكريم» «ابن السبيل» وسنعرف عند حديثنا عن سهم ابن السبيل أن من حق المسلم أن يعان على السفر لأي غرض غير معصية، فما ابن السبيل كما يقول الفقيه المالكي الكبير الإمام البكري: «ما ابن السبيل إلا مسافر مجتاز ببلد الزكاة ولو للنزهة» ذلك أن النزهة في الإسلام غرض مشروع، ووسيلة للعظة والاعتبار، عند مشاهدة عجائب صنع الله تعالى في أرضه، والشعور بعظمته سبحانه، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري ... حتى أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء ازدانتا ... بمعالم الآيات والآثار
من كل رائعة الجمال كأنها ... أم الكتاب على لسان القاري
دلت على ملك الملوك فلم تدع ... لأدلة الفقهاء والأحبار

وهكذا نرى أن الإعانة على الزواج وعلى السياحة والنزهة ليس فيها تزيد أو تدليل، بل هما من تمام كفاية الإنسان، ويتبين لنا من ذلك أن الزكاة توفر للفرد مستوى من المعيشة لا يطمع فيه كثير ممن يعدون أغنياء في أيامنا هذه، مما يوحى بأن تطبيق الإسلام كفيل بتحقيق مستوى معيشي راق، وتنمية اقتصادية واجتماعية وأخلاقية تفتقدها البشرية التي هي في أمس الحاجة إلى الإسلام.

والله الموفق